

الخدمة الاجتماعية في العراق بين الحاجة والتغيب

د. غني ناصر حسين القرشي

إطلالة موجزة

نشأت الخدمة الاجتماعية بوصفها مهنة علمية فنية من الناحية النظرية والعملية في المجتمعات الغربية- لاسيما- الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة حيث نشأت رسمياً في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين متأثرة بنشأة نظام الرعاية الاجتماعية وتطوره في المجتمعات الغربية بعامة وفي الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة خاصة، ونتيجة لفشل نظام الإحسان بوصفه أحد صور الرعاية الاجتماعية، وكذلك لعوامل أخرى منها:

- الثورة الصناعية وما صاحبها من آثار.
- الحروب المتوالية وما نتج عنها من مشكلات.
- انتهاء عهود الإقطاع في أوروبا.
- فشل التشريعات المتتالية في مواجهة مشكلات الفقر.
- ظهور الأفكار الاشتراكية.
- الاكتشافات العلمية الحديثة.
- الأبحاث الاجتماعية.
- ظهور جمعيات تنظيم الإحسان وحركة المحلات الاجتماعية.

ومن الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة امتدت الخدمة الاجتماعية إلى مختلف المجتمعات واستخدمت في مؤسساتها كافة سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة وذلك لمساعدة هذه المؤسسات على أداء وظائفها بكفاءة أعلى؛ بعد التطورات التي شهدتها المجتمعات المعاصرة وعلى الأصعدة كافة وما رافقها من ظهور مشكلات عديدة انعكست آثارها على الأفراد والجماعات.

ودخلت مهنة الخدمة الاجتماعية مجتمعاتنا العربية منذ العقود الأولى من القرن العشرين، حيث دخلت جمهورية مصر العربية في عام (١٩٣٥ م) بإنشاء مدرسة الخدمة الاجتماعية في مدينة الإسكندرية على يد بعض الجاليات الأجنبية، ثم تطورت المهنة وانتشرت في مصر حتى بلغ عدد كليات الخدمة الاجتماعية اليوم أربع كليات تخرج سنوياً ما يزيد عن عشرة آلاف متخصص في الخدمة الاجتماعية، فضلاً عن معاهد الخدمة الاجتماعية (نظام الأربع سنوات) والتي أصبح عددها يزيد عن عشرة معاهد منتشرة في معظم محافظات مصر (تخرج سنوياً ما يزيد عن أربعين ألفاً من الاختصاصيين الاجتماعيين)، هذا إلى جانب عدد من المعاهد (نظام السنتين بعد الثانوية العامة) لتخريج مساعد اختصاصي اجتماعي.

ومن جمهورية مصر العربية انتشرت الخدمة الاجتماعية في العديد من الدول العربية مثل: المملكة العربية السعودية ودولة قطر، والكويت، والبحرين، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان، وسوريا، لبنان، والأردن، وفلسطين المحتلة، والجماهيرية العربية الليبية... وغيرها.

وتمارس الخدمة الاجتماعية العديد من الأدوار والمهام في الدول العربية وعبر مختلف مجالات الممارسة المهنية مثل: المجال المدرسي، المجال الطبي، مجال رعاية المعاقين، مجال رعاية الطفولة والأمومة، مجال رعاية الأحداث الجانحين، مجال رعاية السجناء الكبار، المجال الصناعي أو العمالي، المجال العسكري، مجال ضحايا الجريمة... وغيرها من المجالات الأخرى التي تشكل عصب الحياة الاجتماعية للمجتمع إذ تنعكس نتائج تلك الممارسة على تحقيق التنمية والأمن الاجتماعيين. وهكذا أصبحت مهنة الخدمة الاجتماعية الطريقة العلمية لخدمة الإنسانية، والنظام الاجتماعي الذي يقوم بحل مشكلاته وتنمية قدراته، ومعاونة النظم الاجتماعية الموجودة في المجتمع للقيام بدورها، وإيجاد نظم اجتماعية يحتاجها المجتمع لتحقيق رفاهية أفرادهم وتنميتهم.

وتتميز الخدمة الاجتماعية بالتعامل مع الإنسان والبيئة من منظور شمولي تكاملي، وهو ما يميزها عن غيرها من المهن التي تتعامل في أغلب الأحوال مع الإنسان من منظور التخصص الضيق، فالخدمة الاجتماعية تنظر للإنسان ككل (بوصفه وحدة واحدة لا تتجزأ) بمكوناته الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والروحية، وكذلك تنظر للبناء الاجتماعي نظرة شمولية بأساقه ونظمه المتعددة والمتراصة. وتعتمد بذلك كله على دراسة المؤثرات والتفاعلات والعوامل المحيطة بالإنسان كافة دراسة علمية مخططة، وتعمل بكل ثقلها من أجل إزالة العوائق والعقبات الاقتصادية والثقافية والصحية والروحية التي قد تعترضه، وذلك من خلال الاختصاصيين المهنيين المعدين إعداداً مهنيًا وعلمياً في معاهد أو كليات متخصصة.

إذاً، اهتمامات الخدمة الاجتماعية وهمومها تمثل في واقع الأمر اهتمامات المجتمع بأسره، وهذا يتطلب في واقع الأمر أن تكون المهنة رائدة في عكس هذه الاهتمامات من خلال ممارستها. وفي هذا السياق يرى (سامي عبد العزيز الدامغ) أن تأخذ ممارسة الخدمة الاجتماعية وجهتين الأولى: سلبية، تتمثل في ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية في المجالات المختلفة أعلاه على وفق القرارات والتشريعات الأنظمة القائمة بعلاقتها- كما هو الحال عليه الآن- ومحاولة تقديم أفضل ما يمكن تقديمه لعملاء المهنة في تلك المجالات، بالرغم من المعرفة التامة للمنتمين للمهنة بقصور تلك القرارات والتشريعات والأنظمة، وبالرغم من كونها في معظم الأحيان عائق رئيس أمام تقديم خدمة أفضل لعملاء المهنة.

أما الوجهة الثانية: ايجابية، تتمثل في محاولة تغيير القرارات والتشريعات والأنظمة المعيقة جزئياً أو كلياً، للعمل الاجتماعي بصفة عامة وللمجالات التي تعمل فيها الخدمة الاجتماعية- لاسيما في مجالات الفقر والعنف الأسري وقضايا المرأة- بهدف توفير آليات أفضل للتعامل مع عملاء المهنة أو تحقيق امتيازات لهم ليست متوفرة حالياً. وهذه الوجهة ليست متوفرة في الوقت الراهن لمهنة الخدمة الاجتماعية في معظم الدول العربية، وتمثل حاجة ملحة يجب أن تسد. علماً أن محاولة تغيير القرارات والتشريعات تلك ينبغي أن يتم على وفق آليات محددة تأخذ بنظر الاعتبار تحقيق المصلحة العامة وبما لا يعرض أمن المجتمع واستقراره للخطر.

ما المقصود بالخدمة الاجتماعية وما أهدافها:

ليس من السهل إيجاد تعريف شامل ودقيق للخدمة الاجتماعية نظراً لحداثة عهدنا بها واستخدامها على أسس علمية صحيحة منذ أمد قريب، هذا مع تشعب ميادينها وخدماتها التي تتناول الأفراد والجماعات والمجتمعات، على أن هناك الكثير من الكتاب والمتخصصين حاولوا وضع تعريفات عديدة للخدمة الاجتماعية نذكر منها ما يأتي:

- تعريف ماكس سيبورن: (طريقة مؤسسية اجتماعية لمساعدة الناس على الوقاية من المشكلات الاجتماعية وعلى علاج هذه المشكلات وتعمل على تقوية وظائفهم الاجتماعية).

- تعريف كينث براي: (تلك الجهود المنظمة التي تخصص وتستخدم لمساعدة الأفراد والجماعات ليحصلوا على اشباع كامل لحاجاتهم عن طريق مؤسسات اجتماعية تيسر هذه العمليات في حدود مجتمع مستقر).

- تعريف أحمد كمال أحمد: (مهنة تحقق الرفاهية للإنسان بإيجاد تغييرات اجتماعية موجهة من خلال بناء متخصص يتعاون مع أجهزة المجتمع لمقابلة الاحتياجات الاجتماعية).

- تعريف الأمم المتحدة عام (١٩٥٠): (الخدمة الاجتماعية تؤدي خدمات مهنية بواسطة أشخاص مهنيين يتوافر لديهم قدر من التعليم المتخصص، وهي بوصفها مهنة تستمد أهميتها من تصديها للمشكلات التي يمكن أن تنجم من جراء التطور التكنولوجي السريع والمستمر).

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن أن نحدد مفهوم الخدمة الاجتماعية على النحو الآتي:

١- الخدمة الاجتماعية مهنة إنسانية تهدف إلى خدمة الإنسان بوصفه فرداً أو بوصفه عضواً في جماعات مختلفة لتحقيق علاقات اجتماعية ناجحة.

٢- تقوم مهنة الخدمة الاجتماعية على قواعد علمية من العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

٣- تعمل مهنة الخدمة الاجتماعية على مساعدة الفرد و جماعة الأسرة للتغلب على مشكلاتهم الاجتماعية لتمكينهم من مواجهتها مواجهة فعالة تصل إلى حد التغلب عليها أو التخفيف من حدة آثارها.

٤- لمهنة الخدمة الاجتماعية مناهج وطرائق ثلاثة أساسية يتم من خلالها ممارسة المهنة هي: خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع، وهناك طرائق ثانوية أخرى تتمثل في إدارة المؤسسات الاجتماعية والبحث الاجتماعي التطبيقي.

٥- إن الخدمة الاجتماعية يمارسها اختصاصيون اجتماعيون يتم إعدادهم وتأهيلهم علمياً ونظرياً في مؤسسات متخصصة لإعداد الاختصاصيين الاجتماعيين لممارسة هذه المهنة.

٦- خدمات مهنة الخدمة الاجتماعية يمكن أن تكون وقائية وإنمائية بجانب عدا علاجية.

٧- تستند مهنة الخدمة الاجتماعية إلى بعض المعايير والقيم الأخلاقية التي يجب أن يلتزم بها الاختصاصي الاجتماعي عند ممارسته للمهنة مثل احترام كرامة الإنسان وأدميته وحرية في اتخاذ القرار والثقة به.

٨- الخدمة الاجتماعية مهنة تقوم باستثمار الموارد والإمكانات المتاحة الكامنة لتحقيق أهدافه.

أهداف الخدمة الاجتماعية

يمكن تلخيص أهداف الخدمة الاجتماعية المحققة لنمو الأفراد وتحقيق رفاهيتهم في الآتي:

١- الأهداف الوقائية: تعمل الخدمة الاجتماعية على كل ما من شأنه وقاية الأفراد من الوقوع في المشكلات والأزمات الاجتماعية وتزِيل من أمامهم ما يدفع بعضهم إلى الانحراف من جديد، بعد أن يتم علاجهم وإعادتهم إلى السيرة الطبيعية المقبولة في الحياة الاجتماعية.

٢- الأهداف العلاجية: تعمل الخدمة الاجتماعية على إعادة تأهيل الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات ليصبحوا أكثر قدرة على القيام بأدوارهم الاجتماعية.

٣- الأهداف التنموية: من أهداف الخدمة الاجتماعية أهداف تنموية وتشير إلى مساعدة الأفراد أو الجماعات لاستثمار أقصى ما لديهم من قدرات للوصول إلى مستويات اجتماعية مقبولة.

وبعد مناقشة ماهية الخدمة الاجتماعية وتعريفها وأهدافها يمكن أن نقف بعجالة على السؤال الذي يدور دائماً في أذهان المتخصصين وغير المتخصصين بالخدمة الاجتماعية وهو: هل أن الخدمة الاجتماعية علم أم فن؟

الواقع أن الخدمة الاجتماعية هي علم وفن في آن واحد، فهي (علم) حيث تستند ممارستها إلى قاعدة علمية ثلاثية المصدر:

- ١- معارف علمية مستعارة من العلوم الأخرى لاسيما العلوم الاجتماعية.
 - ٢- نتائج البحوث التي تجرى في محيط الخدمة الاجتماعية.
 - ٣- حكمة الممارسة، والمعارف الناتجة عن الخبرات الميدانية والمقبولة مهنيًا وذات تعميمات واسعة.
- وتمتزج المعارف المستقاة من تلك المصادر الثلاثة في بوتقة واحدة لتشكل القاعدة المعرفية النظرية التي تنطلق منها الممارسة المهنية في شتى المجالات والميادين. والخدمة الاجتماعية (فن) بالمعنى المهاري لا بالمعنى الجمالي، حيث يطلق البعض على هذا الجانب (تكنولوجيا الخدمة الاجتماعية) بمعنى المهارة والكفاءة والقدرة المتخصصة في استخدام وتطويع المعارف والمعلومات أثناء عملية التدخل والممارسة، مثل: مهارات العلاقة المهنية، التشخيص، إجراء المقابلات، التخطيط الاجتماعي، التقويم، الاتصال، التسجيل، المناقشة الجماعية... وغيرها، ويتم اكتساب وتنمية تلك المهارات من خلال برامج التدريب الميداني.

الخدمة الاجتماعية في العراق

تأسس أول قسم للخدمة الاجتماعية في كلية البنات في السنة الدراسية (١٩٥٠-١٩٥١)، وقد ابتدأ بمجموعة من طالبات الصف الثالث في الكلية ما أدى إلى تخرج أول دورة عام (١٩٥٢-١٩٥٣) وشملت (٢٥) خريجة فقط. وعندما أُلغيت كلية البنات ألحق القسم بقسم علم الاجتماع بجامعة بغداد عام (١٩٦٨)، بمعنى أنه لم يبقى قسماً مستقلاً وأصبح فرع من فروع قسم علم الاجتماع الثلاثة وهي: علم الاجتماع، علم الإنسان، الخدمة الاجتماعية. حيث يكون نظام الدراسة في السنتين الأولى والثانية عام يدرس فيه الطالب مختلف المقررات الدراسية العامة مثل: اللغة العربية واللغة الإنجليزية والثقافة القومية والفلسفة، بالإضافة إلى بعض المقررات الدراسية المشتركة بين الفروع أعلاه مثل: الخدمة الاجتماعية، مدخل إلى علم الاجتماع، المدخل إلى علم الإنسان. ويبدأ التخصص في السنتين الثالثة والرابعة ليدرس الطالب خلالها مقررات خاصة بالفرع نفسه، حيث يدرس طلبة الخدمة الاجتماعية مقررات مثل: خدمة الجماعة وخدمة الفرد وتنظيم المجتمع والخدمة الاجتماعية العمالية والطبية والمدرسية... الخ. يضاف لذلك برنامج للتدريب الميداني والزيارات الميدانية إلى مختلف المؤسسات الاجتماعية القريبة. وبقي هذا الوضع حتى تم إلغاء فرعي الخدمة الاجتماعية وعلم الإنسان في منصف التسعينيات وأصبح القسم يمثل قسم علم الاجتماع فقط وحتى الآن.

وفي عام (١٩٨٤)- وبعد أن أعيد فتح كلية التربية للبنات- بدأت الكلية سنتها الأولى في العام الدراسي (١٩٨٤-١٩٨٥) بأقسام تسعة (اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، التاريخ، الجغرافية، الرياضيات، الكيمياء، الفيزياء، علوم الحياة، التربية الرياضية). وفي العام الدراسي (٢٠٠١-٢٠٠٢) تم شطر الكلية وسحبت منها خمسة أقسام علمية. وتضم الكلية الآن عشرة أقسام (اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، التاريخ، الجغرافية، الاقتصاد المنزلي، رياض الأطفال، العلوم التربوية والنفسية، علوم القران، الحاسبات، **الخدمة**

الاجتماعية (افتتح عام ١٩٩٨-١٩٩٩). وهكذا أعيد فتح قسم الخدمة الاجتماعية من جديد ليأخذ دوره الريادي في خدمة المجتمع العراقي.

يهدف القسم لتخريج اختصاصيات اجتماعيات للمدارس وأيضاً لتدريس مادة علم الاجتماع في المدارس الثانوية، ويحق للطالبة الخريجة العمل في مؤسسات الدولة بوصفها اختصاصية اجتماعية- لاسيما في مؤسسات وزارتي العمل والشؤون الاجتماعية والعدل- ومن أبرز مهامها التلموية والوقائية والعلاجية والتي تعتمد على الأسس العلمية في التخطيط والتنفيذ:

١- تدريب من لديهم صعوبة في التكيف ضمن المحيط الاجتماعي .

٢- العمل على إيجاد علاقات اجتماعية ناجحة.

٣- تقدم الخدمة الاجتماعية في المساعدات المادية والمعنوية من أجل وضع الحلول للمشكلات الاجتماعية مثل: الهجرة ، والجناح، والبطالة، والعنف، وتلوث البيئة، والاحتكار والاستغلال، والعنصرية والطائفية، ومعالجة الجريمة.

ويقوم قسم الخدمة الاجتماعية المذكور بإعداد الباحثات والاختصاصيات (والمدرسات) إعداداً خاصاً حيث يستمدن إعدادهن وتدريبهن على أيدي أساتذة أكفاء بطريقة نظرية وتطبيقية فعالة استثماراً لكل الطاقات والقدرات وبأسلوب علمي منهجي، فالطالبة المتخرجة من قسم الخدمة الاجتماعية:

- تحصل على شهادة بكالوريوس في خدمة اجتماعية.

- لها حق التعيين بوصفها مدرسة وبوصفها باحثة اجتماعية في وزارة التربية.

- لها حق التعيين بعدها اختصاصية اجتماعية في وزارة العدل وضمن مؤسساتها العدلية مثل: محاكم الأحوال الشرعية، ومحاكم الأحداث، ومؤسسات رعاية القاصرين.

- لها حق التعيين في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بوصفها اختصاصية اجتماعية في دار المعوقين، ودار الأيتام، ودار المسنين، ومعاهد وزارة العمل، ومدارس ذوي الاحتياجات الخاصة، ومشرفة اجتماعية في المصانع والمعامل الاجتماعية.

- لها حق التعيين في وزارة الصحة بوصفها اختصاصية اجتماعية للعمل مع المرضى، ولها دور علاجي ودوائي لا يقل عن دور الطبيب، وتقوم بدور الإرشاد والتوعية في توفير الرعاية الصحية.

ولأن هذا القسم هو القسم الوحيد الذي يضطلع بمهمة إعداد الاختصاصيين الاجتماعيين أو بالأحرى الاختصاصيات الاجتماعيات في العراق حالياً نعرض المقررات الدراسية للوقوف عليها وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى:

عدد الوحدات	المواد الدراسية
٤	علم الاجتماع
٤	علم الإنسان
٤	الخدمة الاجتماعية
٤	اللغة العربية
٤	مجتمع عراقي

٤	أسس تربوية
٤	علم نفس تربوي
٤	علم الحاسبات
٤	فلسفة
٤	نصوص إنجليزي
٤	الديمقراطية وحقوق الإنسان

المرحلة الثانية:

عدد الوحدات	المواد الدراسية
٤	مشكلات اجتماعية
٤	طرق البحث الاجتماعي
٤	إدارة وإشراف وتعليم ثانوي
٤	خدمة اجتماعية مدرسية
٤	اللغة العربية
٤	اللغة الإنجليزية
٤	خدمة الجماعة
٤	انثروبولوجيا اجتماعية
٤	ديمقراطية وحقوق الإنسان

المرحلة الثالثة:

عدد الوحدات	المواد الدراسية
٤	خدمة اجتماعية عمالية
٤	إرشاد وصحة نفسية
٤	إحصاء اجتماعي
٤	علم الإجرام
٤	تغيير اجتماعي
٤	خدمة الفرد
٤	علم اجتماع العائلة
٦	مناهج وطرائق تدريس
٤	إدارة مؤسسات اجتماعية

المرحلة الرابعة:

عدد الوحدات	المواد الدراسية
٨	مشاهدة وتطبيق
٤	علم النفس الاجتماعي

قياس وتقويم	٤
نظريات اجتماعية	٤
تنظيم مجتمع	٤
تخطيط اجتماعي	٤
خدمة اجتماعية طبية	٤
إصلاح مجرمين	٤
بحث تخرج	

فإذا استثنينا مقررات المرحلة الأولى بوصفها مقررات عامة نجد- وفي رأينا الشخصي- أنّ المقررات في السنوات التالية لقسم متخصص بالخدمة الاجتماعية غير كافية لإعداد الاختصاصي الاجتماعي المؤهل للقيام بالعمل الاجتماعي مع إيماننا بأنّ الاختصاصي الاجتماعي يمكن صقل قدراته وإكسابه المهارات اللازمة من خلال العمل المتواصل وزجه بالدورات التدريبية داخل القطر وخارجه- إنّ توافرت مثل هذه الدورات.

ففي المرحلة الثانية نجد أنّ الطالبة لا تدرس من مقررات الخدمة الاجتماعية المباشرة سوى الخدمة الاجتماعية المدرسية وخدمة الجماعة. والسؤال الذي يطرح نفسه، هل أنّ دراسة الخدمة الاجتماعية المدرسية في هذه المرحلة كافية لتأهيل اختصاصي اجتماعي يتعامل مع مختلف المشكلات المدرسية المعقدة ومع أعداد هائلة من الطلبة؟ وهل أنّ دراسة مقرر مثل خدمة الجماعة ولمرحلة واحدة كافٍ لإعداد الطالب الذي يستطيع التعامل فيما بعد مع الجماعات الاجتماعية ويساعدها في حل مشكلاتها ويحقق أهدافها.

كذلك الحال بالنسبة للسنوات الأخرى فمثلاً نجد مقرر خدمة الفرد الذي يعد من أهم مقررات الخدمة الاجتماعية يدرس في مرحلة واحدة هي الثالثة، وكذلك مقرر تنظيم المجتمع الذي يشكل المحور الثالث للخدمة الاجتماعية مع خدمة الفرد وخدمة الجماعة يدرس في المرحلة الرابعة فقط. ولا نجد أي ذكر لمقررات مهمة أخرى مثل: الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المعاقين، البحث الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، الخدمة الاجتماعية في مجال حماية البيئة، نظريات الخدمة الاجتماعية، نصوص انجليزية في الخدمة الاجتماعية، التشريعات الاجتماعية، الخدمة الاجتماعية في رعاية الشباب، الخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي، الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والطفولة وغيرها من المقررات الدراسية التي تدخل في صلب العملية التعليمية لإعداد الاختصاصي الاجتماعي.

لا مندوحة من القول: أنّ الطابع الغالب على المقررات الدراسية هو طابع علم الاجتماع حيث أنّ أكثر من (١٠) مقررات تنتمي إلى علم الاجتماع. أنّ قسم الخدمة الاجتماعية وفي ظل هذا الوضع يعدّ متخصصين هم أقرب إلى علم الاجتماع من الخدمة الاجتماعية.

ويعد قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الموصل من الأقسام الحديثة إذ تأسس في السنة الدراسية (١٩٨٥-١٩٨٦)، ويركز في مقرراته الدراسية على الجوانب النظرية والعملية، ويمنح القسم خريجه شهادة البكالوريوس في الخدمة الاجتماعية، وتم إلغاء هذا القسم مؤخراً ليتحول إلى قسم علم الاجتماع الموجود في كلية الآداب حالياً.

وتم فتح قسم آخر للخدمة الاجتماعية في جامعة القادسية، وهو من الأقسام الحديثة العهد، فقد تخرجت أول دورة من طلبته في العام الدراسي (١٩٩٢ - ١٩٩٣) وكان عددهم (٢٨) طالباً وطالبة، وتركز المناهج الدراسية في هذا القسم على الجوانب النظرية والتطبيقية، وتم تغيير قسم الخدمة الاجتماعية إلى قسم علم الاجتماع في عام (١٩٩٤). علماً أن نسبة أعضاء هيئة التدريس المتخصصين بالخدمة الاجتماعية مقارنةً باختصاص علم الاجتماع وعلم الإنسان قبل إلغاء تلك الأقسام تشكل نسبة ضئيلة جداً، ففي جامعة بغداد بلغت نسبتهم (١٦%)، بينما بلغت نسبتهم في جامعة القادسية (١٨%)، في حين لم يكن هناك متخصصون في الخدمة الاجتماعية بجامعة الموصل.

أمّا على مستوى الإعداد العلمي للكوادر الوسيطة من الاختصاصيين الاجتماعيين في العراق فكان يتم من خلال مؤسسة المعاهد الفنية وبالذات من خلال معهد الفنون التطبيقية الذي أسس عام (١٩٧٥)، حيث يقوم قسم الإرشاد الاجتماعي بإعداد الكوادر الاجتماعية، ومدة الدراسة فيه سنتان يمنح المتخرجون شهادة الدبلوم الفني في الإرشاد الاجتماعي، وطبيعة المناهج فيه تركز على الجوانب النظرية والعملية، وهناك مدة (٦) أسابيع للتدريب الصيفي بعد السنتين الدراسيتين. وقد نقل هذا القسم إلى المعهد الطبي الفني ببغداد عام (١٩٩٤) وتم تقسيمه إلى فرعين هما: فرع رعاية المعوقين وفرع رعاية الأطفال.

إزاء هذا الواقع الغريب لأقسام الخدمة الاجتماعية في العراق الذي سبق كثير من الدول العربية في تأسيسها يبرز السؤال الملح لماذا يتم تغييب الخدمة الاجتماعية في العراق الذي هو بأشد الحاجة لكوادر هذا التخصص بعد أن عصفت رياح التحول في كل جانب من جوانب حياة أبنائه؟ ألسنا بحاجة لهذه الكوادر للعمل في المدارس بعد انهيار النظام التعليمي وازدياد الأمية والتسرب الدراسي وعدم الالتحاق بالمدارس؟ أم لسنا بحاجة لخبرات هؤلاء للعمل في محاكم الأحوال الشرعية لمنع حالات الطلاق المتزايدة أو التخفيف من حدها، أو في محاكم الأحداث وفي مؤسسات إصلاح الكبار؛ بعد أن هزت الجريمة كيان المجتمع العراقي، وبعد أن تزايدت مشكلات الشباب، ومشكلات التفكك الأسري، وانتشار ظاهرة التسول وأطفال الشوارع، ومشكلات الفقر والبطالة، والمناطق العشوائية والمتخلفة؟ ألسنا بحاجة ماسة لجهود الخدمة الاجتماعية في مواجهة إساءة استعمال المنتجات التكنولوجية الحديثة مثل: الهاتف النقال، والكومبيوتر والإنترنت والفضائيات، غيرها من المشكلات والظواهر التي تقودنا إلى تساؤلات وتساؤلات أخرى كثيرة.

مقترحات

في نهاية هذا المقال لا يسعنا إلا أن نضع بين يدي الجهات المسؤولة بعض المقترحات التي يمكن أن تساعد في إعادة الدور الحيوي للخدمة الاجتماعية في مجتمعنا العراقي الذي هو الآن أحوج ما يكون إلى جهودها، وهذه المقترحات هي:

١- دعم قسم الخدمة الاجتماعية الوحيد في كلية التربية للبنات القائم بكل ما من شأنه أن يؤدي إلى نجاحه في عمله، وتضمينه المقررات الدراسية ذات العلاقة المباشرة بالخدمة الاجتماعية في مختلف مراحل الدراسة، وتجزئة بعض المقررات إلى مرحلتين دراسيتين أو أكثر فعلى سبيل المثال يمكن للطالب أن يدرس خدمة الفرد في المرحلتين الثالثة والرابعة، كذلك تنظيم المجتمع وخدمة الجماعة.

٢- تأسيس أقسام جديدة للخدمة الاجتماعية في كليات الآداب لتلبية احتياجات المجتمع من تلك الكوادر المهنية في شتى مجالات العمل الاجتماعي.

- ٣- تأسيس معاهد للخدمة الاجتماعية على غرار معاهد إعداد المعلمين لتخريج الكوادر المتوسطة للعمل بصفتهم مساعدين اختصاصيين اجتماعيين للعمل في مختلف مؤسسات الدولة.
- ٤- العمل على نشر الوعي الجماهيري بالخدمة الاجتماعية لتكتسب الدعم المجتمعي الضروري لنجاحها.
- ٥- دعوة القائمين على مؤسسات الدولة من قادة ومديرين للأخذ بالنتائج التي يتوصل إليها الاختصاصي الاجتماعي من خلال دراسته للحالات المعروضة واتخاذ القرارات النهائية بشأنها على وفق تلك النتائج والمقترحات المتعلقة بها.
- ٦- مد جسور التواصل بين أقسام الخدمة الاجتماعية والمنظمات الدولية العاملة في المجتمع العراقي لتنفيذ بعض المشروعات البحثية والتطبيقية التي تتبناها تلك المنظمات.
- ٧- الاهتمام بالتطبيق الميداني لطلبة الخدمة الاجتماعية داخل القطر وخارجه، مع ضرورة تخصيص كوادر مؤهلة لتدريب الطلبة، ويمكن الاستفادة من الدول ذات الشأن الكبير في هذا المجال مثل: جمهورية مصر العربية وبعض الدول الأخرى.
- ٨- توفير زمالات دراسية للأطّالاع على نماذج من الخدمات الاجتماعية في العالم- لاسيما- الولايات المتحدة الأمريكية والهند.
- ٩- تأسيس جمعية للاختصاصيين الاجتماعيين العراقيين مستقلة عن جمعية العلوم الاجتماعية الموجودة حالياً والتي أغلب أعضائها من كوادر علم الاجتماع تعنى بأمور الخدمة الاجتماعية وهمومها.

المراجع

- ١- أحمد يوسف محمد بشير، الخدمة الاجتماعية في المجتمع اليمني حاجة ملحة أم ترف أكاديمي، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:
www.nabanews.net/2009/18234.html.
- ٢- سامي عبد العزيز الداغ، الدهلزة في الخدمة الاجتماعية: الدواعي والأسس والآليات، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني:
www.ssss2008.org/arabic/modules.php?name...file.
- ٣- سميّة شكري خير الهلاك، دور مهنة الخدمة الاجتماعية في تدعيم وظائف الأسرة لتحقيق الأمن الاجتماعي لأبنائها، دراسة ميدانية على الأسرة بمنطقة الزنتان، إشراف محمد فرج الملهوف، جامعة الفاتح، كلية الآداب، شعبة الدراسات العليا، قسم الخدمة الاجتماعية، العام الجامعي ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ (رسالة ماجستير غير منشورة).
- ٤- عبد المحي محمود حسن صالح، الخدمة الاجتماعية ومجالات الممارسة المهنة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
- ٥- غني ناصر حسين القريشي، مهام الاختصاصي الاجتماعي في الأجهزة العدلية بين الواقع والطموح، دراسة ميدانية في الخدمة الاجتماعية، إشراف مازن بشير محمد، جامعة بغداد، قسم علم الاجتماع، ١٩٩٤ (رسالة ماجستير غير منشورة).
- ٦- فيصل محمود الغرايبة، الخدمة الاجتماعية في المجتمع العربي المعاصر، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٤.

٧- مدحت محمد أبو النصر، الاتجاهات المعاصرة في ممارسة الخدمة الاجتماعية الوقائية، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠٨.

٨- الموقع الإلكتروني لجامعة بغداد <http://www.uobaghdad.edu.iq/>

٩- نظمية أحمد محمود سرحان، الخدمة الاجتماعية المعاصرة، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.